

محمود سليمان الظاظا

ومن بعدي الطوفان

شعر

مقدمة

ومن بعدي الطوفان " عنوان ينبض بجرأة"
التحدي وصدى التجارب، يعكس رحلة
استثنائية في عوالم الذاكرة والواقع،
حيث يتلاقى الوجدان مع الفكر، والذات
مع الكون.

أنا، محمود سليمان الظاظا، من مواليد
18 نيسان 1978 في المزرعة - بيروت،
أتيت إلى هذه الحياة أحمل في قلبي
مزيغاً من الحنين إلى الماضي، والشغف
بالبحث عن الحقيقة في تفاصيل الحاضر،
والرغبة في رسم مستقبل تتسع فيه
مساحة الحرية والصدق.

هذا الكتاب ليس مجرد كلمات على ورق،
بل هو صرخة وأمل، رحلة في دهاليز
النفس، بين ضوء وظل، بين الطوفان وما
بعده. أحتفي في صفحاته بالذكريات،
بالألم، بالحب، وبالأسئلة التي لا تجد لها
أجوبة نهائية، لأن في البحث عن الإجابة
يكمن جوهر الحياة.

أدعو القارئ لأن يفوص معي في هذه
الرحلة، لأن يجد بين السطور جزءاً من
نفسه، لأن يشاركني في تأملات تسعى
إلى كشف المعنى في زمن يموج
بالتغيرات والانكسارات.

ومن بعدي الطوفان... هناك دوماً أفقٌ
جديد.

1_

أخذتنا الدنيا بعيدًا

أخذتنا الدنيا بعيدًا،

صدقيني، عزيزتي... بعيدًا

بينما كنتِ تشيرين إلى الأفق

...البعيد

...البعيد

أخذتنا الدنيا بعيدًا،

وأنتِ تلوّحين بمنديلكِ

الحريريّ

، المنقّط

المزركش،
والمطرز بألوان الربيع
...الزاهية

...أخذتنا

:حتى لم نعد نعرف
على أيّ ضفّة نحن؟
وعند أيّ مفترقٍ من الطرق؟
فقدنا الجهات الأربع،
...وغاب عنا الطريق

2_

أرخبيلاً يونانيّاً

تشيرين دومًا إلى البعيد،
بيدٍ تتيه في فضاء الأمنيات
كأنك عبرت أرخبيلًا
يونايةً،
ناعسًا في حلمك
وجزراً،
سكنتها الريح
حتى آخر رواقٍ
في القارات الخمس
التي لم تُكتشف بعد.
3_

ربما

ربما
أنت هنا،
وهناك،
وعلى بُعدِ خُطى
من حتفِكَ المحتومِ،
تُدحرج زورقًا
في المغيبِ،
بِالتفاتٍ واحدةٍ.

4_

دع الموتى يدفنون موتاهم

يا أيها الراقدون تحت الترابِ،
أفيقوا من صمتِ العدمِ،

من ظلمة النسيان،
من حكاياتٍ لم تُكَمَلْ،
...وأحلامٍ لم تُقَلْ.

!دعوا الموتى يدفنون موتاهم
دعوا الحيَّ يبحث عن ضوءٍ
في العتمة،
عن أغنيةٍ
وسط ضجيج الخراب.

قالها أحدُ الناجين،
وجهه مبلَّلٌ بالمطر،
صوته متعبٌ
،كأنَّه خرج لتوّه من طوفانِ الحكايةِ،

...من فم التاريخ

كان من أولئك المؤمنين،
الذين شدّوا حبال النجاة
لسفينة نوح،
عند أول صفةٍ للبحر،
عند آخر شهقةٍ للتراب.

قال:

ثبتنا السفينة على صخرة المعنى،
وتركنا الريح تعوي،
"لكننا لم ننكسر"

لا تزال أصداءُ صوته

تتردّد في رأسي،
مثل رجع في كهفٍ بعيد،
مثل ارتعاشة وترٍ
...إذا مسّته روح

تعود من حينٍ إلى حين،
في لحظةٍ سكونٍ مفاجئة،
في لحظةٍ شكٍّ،
أو حين يُخيّل إليّ
أن الطوفان
...لم ينتهِ بعد

6_

"صوتٌ من بعد الطوفان"

يا أيها الراقدون تحت الترابِ
...أفيقوا... أفيقوا
فالصمتُ ثَقِيلٌ، والريحُ عتابُ
!دعوا الموتى... يدفنون موتاهم

خرجَ من بينِ الماءِ
وجهه مبلَّلٌ بالحكاياتِ
عيناهُ منفيّ، وصوتهُ نايٌ
ينوحُ على أطلالِ النجاةِ

قال:

ثبتنا السفينةَ فوقَ الصخورِ
وربطنا الرجاءَ بشباكِ النورِ

وما انكسرنا، وإن بان الكسر
فإننا... من الناجين

يا أيها الراقدون تحت التراب
...أفيقوا... أفيقوا
فالحياة على الشطّ رجّع جواب
!دعوا الموتى... يدفنون موتاهم

كلما سكنت لحظة سكون
تعودُ أصداءُ ذاك الجنون
أسمعُ الصوت: "لا تنم... لا تخف
...فالطوفان... لم ينتهِ بعدُ"

رجّع في الرأس لا يهدأ

كأنّ الذاكرة موجّ

...وكلّ ذكرى

مسمارٌ في الصمتُ

يا أيها الراقدون تحت الترابُ

اتركوا الحياة تُكملُ جوابُ

فالموتى... لا يُحسنون الخطابُ

...دعوا الموتى... يدفنون موتاهم

7_

ليلُ ليلي

...ليلُ ليلي

،ليلُ نجومٍ وقمر

لَيْلُ قِصَائِدَ وَسَمَرِ
لَيْلُ أَلْحَانٍ وَأَنْغَامِ
لَيْلُ هَمَمٍ... لَا يُؤْتَمَرِ
لَيْلُ لَيْلَى.

...لَيْلُ لَيْلَى
لَيْلُ طَعَامٍ وَشَرَابِ
لَيْلُ ثَمَارٍ وَحُلُوى
لَيْلُ عَشَقٍ وَأَهَاتِ
لَيْلُ رُوحٍ لَا تَرُوى
لَيْلُ لَيْلَى.

...لَيْلُ لَيْلَى
لَيْلُ أَحْلَامٍ تَتَحَقَّقُ

لَيْلُ أَنْوَارٍ تَتَلَأَلُ
لَيْلُ مَرَاكِبَ فِي عَرْضِ الْبَحَارِ
تَسْرِي،
وَلَا تَتَهَجَّى الْمَسَاءَ
... لَيْلُ لَيْلَى
8_

"لَيْلُ لَيْلَى... وَفَجَرُهَا"

لَيْلُ لَيْلَى... يَا لَيْلَ الْهَوَى
لَيْلُ نَجُومٍ وَقَمَرٍ
لَيْلُ قِصَائِدَ وَسَمَرٍ
لَيْلُ الْحَانِ تُغْنِي

...في العيونِ وفي الوترِ
!ليلُ ليلي، يا سُكَّرَ السهرِ

...ليلُ ليلي

،ليلُ طعامٍ وشرابٍ

،ليلُ ثمارٍ وحلوى

،ليلُ حُصْنٍ وانسيابٍ

،ليلُ عشقٍ في ارتحالٍ

...وحنينٍ لا يُجابُ

...آهٍ ليلي، ما أرحبَ الغيابُ

،ليلُ ليلي... يا نَشْوَةَ الحرفِ

...ليلُ هميسٍ يُطربُّ الليلَ ويعزفُ

...ليلٌ ليلي

،ليلٌ أحلامٍ تُحقّق

،ليلٌ أنوارٍ تتلأّأ

،ليلٌ مراكبٍ في عرضِ البحار

،تسري ولا تنهجي القراز

،ليلٌ قلبٍ... لا يغار

...ولا ينام... إن مرّ طيفك واحتار

...فجرٌ ليلي

،حينَ يذوبُ الجليدُ عن القلب

،حينَ تُشرقُ من عينيكِ نجمة

،ويغسلُ الضوءُ وجهَ الحكاية

...فجرُك يا ليلي

صلاةٌ عاشقٍ

أنهكه طولُ المساءِ،

...فبكى

، ثم ابتسم

:حينَ قال

!ليلى... جاءت

9_

"أحبكِ... يا صقيعًا وندى"

، أحبكِ، يا قمرًا معلقًا في المساءِ،

...أحبكِ، يا عطرًا يسيرُ بلا انتهاء

أَنْتِ اللِّقَاءُ، وَأَنْتِ التَّذْكَارُ
أَنْتِ النُّهْرُ، وَأَنْتِ الْأَسْرَارُ

...أَحَبُّكَ

لَأَنَّكَ الضُّوْءُ فِي لَيْلِي الطَّوِيلِ،
لَأَنَّكَ الْحُلْمُ حِينَ يَغْفُو الْمُسْتَحِيلِ،
أَحَبُّكَ حِينَ تَصُمْتِينَ
...كَأَنَّكَ تَرْتَبِينَ الشَّجْنَ فِي دَفْتَرِي

أَحَبُّكَ، يَا قَمَرًا مَعْلَقًا فِي الْمَسَاءِ،
...أَحَبُّكَ، يَا عَطْرًا يَسِيرُ بِلَا انْتِهَاءِ

يَا مُتَصَلِّبَةً كَجِبَالِ الْجَلِيدِ،
يَا أَنْثَى مِنْ بَرْدٍ... وَمِنْ نَارِ

أَحَبُّكَ رَغَمَ صَدِّكَ

، رَغَمَ صَمْتِكَ الْمَكْسُورِ بِالْأَسْرَارِ

، أَحَبُّكَ

، وَإِنْ جَمَدَ الْكَلَامُ عَلَى فَمِي

...أَحَبُّكَ

...كَأَنِّي أَكْتُبُكَ مِنْ رَعِشَةِ أَصَابِعِي

، أَحَبُّكَ، يَا ظِلًّا عَلَى شَفَتِي

، أَحَبُّكَ، مَا بَيْنَ صَقِيعٍ... وَنَدَى

...أَنْتِ الْبَدَايَةُ

. وَأَنْتِ، وَحْدِكَ... الْمَدَى

لأجلك

،لأجلكِ، يا صاحبة الاسم المنير

،والوجه الناعم الجميل

،والشعر الأسود الطويل

،عيناكِ تسهران ليلى

،ورمشاكِ كرمشا غزالية تحاكي جماله

،نظرتُ في وجهك

،فقرأتُ فيه الجمالَ

،والأنوثةَ

،والدلالَ

لأجلكِ،
كم نظمتُ الألحانَ،
يا صاحبة الأطراف الحسان.

11_

"لأجلكِ، يا منيرَ القلب"

لأجلكِ، يا صاحبةَ الاسمِ المنيرِ،
والوجهِ الناعمِ الجميلِ،
والشعرِ الأسودِ الطويلِ،
يا نجمتي في ليلِ الدجى،
...يا روحًا تسكنُ القلبَ الكبيرَ

،عيناك تسهران ليلى
،ورمشاك كرمشا غزالة
،تراقص في عيون الليل
،تحاكي جمال الخيال

،نظرت في وجهك
،فقرأت فيه أسراراً
،جمالاً وأنوثةً
...ودلالةً نسجتُه الأيامُ

،لأجلك، يا صاحبةَ الاسمِ المنيرِ
،والوجهِ الناعمِ الجميلِ
...والشعرِ الأسودِ الطويلِ

لأجلِك، كم نظمتُ الألحان
وكم غنّيتُ للهوى
يا صاحبة الأطراف الحسان
يا أنثى الهوى والآهات

أنتِ قصيدتي التي لا تنتهي
...وأغنيتي التي تسرّحُ في السماء

لأجلِك، يا منيرَ القلب
يا ضوءًا في عمقِ الظلام
يا حلمًا لا يرحلُ
...يا نبضًا
يا سلام.

طاولة خشبية مستديرة_12

وجدَ نفسه

،على طاولةٍ خشبيّةٍ مستديرةٍ

...يشعلُ سيجارةَ الغياب

يكتبُ مسوِّدةً

،عن الحروبِ القادمة

،ومستقبلِ المنطقةِ العربيّةِ

،عن الأنظمةِ

،والحكّام

.والدُّولِ الفارقةِ في رُكامها

وجدَ نفسهُ قائدَ أوركسترا

.لجيشٍ من المتسكّعين

وشاهدَ

جيشَ الاحتلالِ الإسرائيلي

يتناوبُ

على اغتصابِ الأسرى الفلسطينيين

،الشجعان

بعد أسْرِهِم

،في ميادينِ البطولةِ

،والكرامةِ

،والشهامةِ

،والعِزَّةِ

والشرفِ.

رأى كلَّ شيءٍ

:ينهارُ أمامه

كرامة الإنسان،

الإنسانية،

الاحترام المتبادل - حتى مع العدو،

شرعة حقوق الإنسان،

الأمم المتحدة،

...المبادئ

تتهاوى.

رأى القيم النبيلة

تنهار أمام عينيه

."ك" طائرة ورقية شرعية

- وعند هذا الحد

البائس،

المضطرب،

المنحل،
– اللاأخلاقي بتاتاً
أغلقَ القرطاس،
... ولم يُنه كتابة القصيدة

ومن بعدي الطوفان.

13

عندما يكتب الشيطانُ الشعر

قال أحدُ المردةِ الكبار،
من حاشيةِ وأعوان
"إبليس اللعين"

لم تَعُدِ السَّمَاءُ تَتَّسَعُ _
!لأَحَادِيثِ الْمَلَائِكَةِ

ولم يَعدِ الْكَوْنُ الشَّاسِعُ _
!يَحْتَمِلُ الْجَنُّ وَالْإِنْسَ مَعًا

ولم يَعدِ قَلْبِي الْمُسَوَّدُ _
، يَقْوَى عَلَى رُؤْيَا الْمَسَاجِدِ
، عَامِرَةً بِالْعُلَمَاءِ النَّجَبَاءِ
، بِطَلَبَةِ الْعِلْمِ
، وَصُفُوفِ الْمُصَلِّينَ.

، وَالْخَمَّارَاتِ _
، الْكَابَارِيَهَاتِ

متاجرُ الخمر،
البارات، الكازينوهات
...وشواطئُ العُري
خاويةٌ،
إلا من قلائلٍ من الروادِ والنُّزلاءِ

لم يَعدْ قلبي الحاقِد
يحتملُ صوتَ الخطباءِ الصالحينِ،
بل يحنُّ إلى أهلِ الفتنِ،
أبناءِ الزيف، الكذبِ،
الغش، الدجل، الخيانةِ،
– والجهلِ
!الذين يُضِلُّونَ النَّاسَ في كلِّ حينٍ

لَيْتَ

،جَمِيعَ الْمَسَاجِدِ تُهَدَّمُ
،وَكُلَّ الْمَصَاحِفِ تُحْرَقُ
!وَيَبَادُ الْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ

:وَتَبْقَى

،أُدَيْرَةُ الشَّرِكِ

،قَبَابُ الْكُفْرِ

،مَنْتَصِبَةٌ

،شَامَخَةٌ

،وَالْأَوْثَانُ

،وَالْأَصْنَامُ

وَأَدْعِيَةُ الشَّرِكِ وَالْكَفْرِ

.مَرْفُوعَةٌ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ

...ليته يكون

ليخلدوا معنا في النيران

!آه... لو يكون

ومن بعدي الطوفان.

14

أفيخاي أدرعي

...ومن بعدي الطوفان

أفيخاي أدرعي

وما أدراك ما أفيخاي أدرعي؟

،الناطقُ باسم جيشِ العدوانِ الصهيوني

في منطقتنا العربيّة
!وفي محيطنا المقهور

جيشٌ بلا مبدأ
بلا احترام
بلا أخلاق
...بلا رادعٍ دينيٍّ أو إنسانيٍّ
جيشٌ همجيٌّ
!بكلِّ ما تعني الكلمة

يَقْتُلُ الأطفالُ
يتناوبُ على اغتصابِ الشبابِ
الفلسطينيين
بعد أسْرِهم

في ميادين البطولة والشرف.

يقتلُ النساءُ،

الشيوخُ،

الأرامل،

يسلبُ ممتلكاتِ الغير

بقوةِ سلاحِ أمريكيٍّ مُتطوِّرٍ للغاية.

يُدمِّرُ المساكنَ فوق رؤوسِ ساكنيها

ويخرجُ علينا بوقاحةٍ إعلاميّة

!يُسوّقُ الكذبَ للعالم

أيُّ عاقلٍ يصفُهم بالحضارة؟

أيُّ حاكمٍ، عربيٍّ أكان أو غربيٍّ أ

يجرؤ أن يقول: إنهم مضطهدون؟
أيُّ حمارٍ على وجه الأرض
من نسلِ الحمير
يمنحهم لقب "الضحية"؟

حتى البهائمُ الشاردةُ
في الغاباتِ الإفريقيّةِ المهجورة
!ترفضُ تشبيههم بها

...أفيخاي أدرعي
،خذها منّي كما هي

من دونِ زيادةٍ ولا نقصان

**أنتَ رجلٌ غلبتُ عليك شقاوتُكَ،
لن تُؤمنَ،
ولن تُبصرَ،
حتى يُريكَ اللهُ العذابَ الأليمَ.**

**لَكَ قلبٌ لا يعقلُ،
وعينٌ لا تُبصرُ،
وأُذنٌ لا تسمعُ النصيحَ
ولا كلمةَ حقٍّ.**

**تخلَّى اللهُ عنكَ،
كما تخلَّى عن فرعونَ،**

عن قارون، عن هامان
...وتركك لنفسك الأمارة بالسوء
،كفيلة أن تُهلكك
،تسحقك
وتُنسيكَ طعامَ حليبِ أمِّك
!يومَ كنتَ في المهدِ صغيرًا

...أفيخاي أدرعي
:خذها مني كما هي
.ومن بعدي الطوفان.

سأُتبيّنك

...سأُتبيّنك

، مع إشراقة كلِّ صباح

، في ابتسامة طفل

وفي أمل المسافرين

، داخلَ باحات المطارات

عند بائع الورد

، على رصيف الانتظار

، تحت مطر المهرجانات

، خلف وجع الليل

...وأُنبئ المسافرين

سأُتبيّنك

في كلّ قصيدةٍ غزليٍّ

، دوّنتُها على صفحاتِ الأيامِ العابرةِ

، وعلى جبينِ الزمانِ المستمرِ

حيثُ الأغاني ما زالت

، سكرى

. تدخّنُ سيجارةَ الغيابِ

سأُتبيّنك

عند كلّ محطةٍ

، من محطاتِ حياتي المتواصلةِ

... سأُتبيّنك

ولو كنتَ خلفَ

سابعِ جبل،
وهضبة،
وتلّة،
...ووادي

.سأُتبيّنك.

أدق التفاصيل_16

...العاصفة

تبوح بثقل ليّ لها

!الموحش

...والذاكرة

تُبحر في سفن الأفكار،
...وفي القصيدة
،تتشكل تفاصيل النص
،والكلمة
...والجملة

رحلة دقيقة
،في بحر الشعر
،العلم
،الخيال
،المعرفة
،الثقافة
"والأدب" الظَّاهري
،الراقي

...والفريد

رحلة

لا تنقصها

أدق التفاصيل.

17 _

ماريشالاً

...في لبنان

، لن تحصل على شيء

، ولن تفعل شيئاً

، ولن تُحقّق، عزيزي

!أيّ شيء

وإن حملت يومًا
الشعلة المنيرة،
واخترقت
فسحة الضوء،
ومساحة النور،
...وحققتُ مُناكَ

فأفصحُ لنا عنه،
لنُقيم لك حفلًا كبيرًا،
ونُصفقُ لك،
"،وندعوك: "ماريشالاً،
"،ونهديك "نيشانًا مُذهَّبًا،
...وميدالية فضيَّة

!بِرْتَبَة فَارِيسِ أَكْبَر

18

صَدَقِينِي، عَزِيزَتِي

**،صَدَقِينِي، عَزِيزَتِي
...لَمْ نَعِدْ كَمَا كُنَّا**

وَأَنْتِ تَشْعَلِينَ

،سَيَجَارَةُ الْغِيَابِ

،وَتَصْطَادِينَ الْغَيُومَ

وَنَوَارِسَ الْجَنُونِ

...عَلَى رَصِيفِ الْمَرْفَأِ الْكَبِيرِ

من بين زعيق السفن،
تتسرّب أسرار البحر الخفيّة،
...ثِيبَاكُ
...وأحلامُ صيّادين

لحظاتُ،
وتختفي الأفكار،
وكأنّ شيئاً
لم يكن.

، "ما بين شارع "البرير

، بربور

، النويري

، البسطة الفوقا

، البسطة التحتا

، رأس النبع

...والخندق الغميق

، فيضٌ لا ينتهي من الذكريات

...بحلاوتها

...ومرارتها

... ما بين شارع البرير
... وبربور الزّمن الضّرير
النويري، البسطة الفوقا
... والتحتا... حكايا مكسورة
... رأس النبع، بوخّ غزير
... والخندق الغميق... سرّ عتيق

... فيض لا ينتهي
... من الذكريات
... بحلاوتها
... ومرارتها

اللَّهُ يراني

...اللَّهُ يراني

...يراك

.ويرانا

،مُطَّلِعٌ عَلَيَّ

،عليك

...وعلينا

لا تخفى عليه

.الخفايا

حروف من ذهب

كان حُبُّنا

يكتب تاريخه

...بحروفٍ من ذهب

كانت بعلمك

،مدينة الشمس

،والحرف

،والنار

...والنور

كان الجِنَّ

يسرَّح ويمرَّح

في باحاتها،
فوق صخورها،
تحت شمسها،
في هوائها،
... وخلف أعمدتها القديمة

يقيمون طقوسهم
:المقدّسة لديهم
أفراحهم،
... وأأتراحهم

،على ضَرْبِ الدفوف،
،وقرَعِ الطبول،
،وصيحاتِ النساءِ،

وصهيل الخيول،
...ونباح الكلاب

23

صحراء الربع الخالي

...العنقاء

...صحراء الربع الخالي

والجندي الذي رأى الطائر

في نومه.

...خيام العشيرة

...جمال الصحراء

...وأحلام الرعاة

وكأنك تجتاز

، أرخبيلًا يونانيًا

، ناعسًا في نومك

، من بين زعيق السفن

، ونوارس الجنون

وأحلام الصيادين المحملة

بأسرار البحر الخفية.

24

صحراء الربع الخالي

...العنقاء

تُحلقُ فوق رمال الربع الخالي،
تحكي أسراراً نُسييت بين الكثبان
وترسم أجنحتها كالشمس الغاربة
تذوب في بحر العواصف الرملية.

الجندي الذي رأى الطائر
في نومه،
يحمل على كتفه وزن اللغات القديمة
وعيون النجوم الساهرة
وشذى الصحراء الحارق
حين يلتقي الوميض بالصمت.

...خيام العشيرة

تتنفس عبق القهوة المرة،
وأصوات الحكايات التي لا تنتهي
بين همسات الرمال
وأهداب السحاب الهائم.

...جمال الصحراء
كقصيدةٍ مُوشحةٍ بالعزف،
تترنم على أنغام الرياح
تسري كدمعة تسقط على وجه الأرض.

...وأحلام الرعاة
تنسج من الظلال عباءات العشق
تحرسها نجوم السماء
وتنثرها نسيمات المساء.

وكأنك تجتاز
أرخبيلاً يونانياً،
ناعساً في نومك
من بين زعيق السفن
ونوارس الجنون
وأحلام الصيادين المحملة
بأسرار البحر الخفية
حيث يتشابك الماء بالهواء
ويعانق الضوء ظلال الليل.

من خلفِ أعمدةِ النورِ
والدخانِ،
تلوُّحُ أشعةِ الضوءِ،
...وتعصفُ سرعةُ الرياحِ

هناك،
وجدَ عصارةَ أفكاره
ونَتَاجَ فكرِه
يتلَاشَيانِ
من بين يديه
كما لو كانا
تساييحَ منسية
حملتها الرياحِ

إلى المدن،
إلى الجُزُر،
إلى القاراتِ
...التي لم تُكتشف بعد
من هذا العالم.

26

ومن بعدي الطوفان

أراد أن يؤلِّفَ
"كتابًا في الشعر"،
يعيدُ به ترتيب الأبديةِ،
ويقيمُ مقامَ القافيةِ مملكةَ
ويكسرُ بحور الخليلِ

كما تكسرُ الريحُ المرايا القديمة.

قال:

سأكتب للدهرِ ما لم يُقلِّ،
وسينحني لي الزمانُ إذا اكتمل.
فأعدُّ العناوينَ من نارٍ،
وخطُّ العناوينَ من وهمٍ،
وسمّي كتابه:
.."ومن بعدي الطوفان"

وما إن خطَّ المقدِّمة الأولى،
حتى هبَّت عليه الريحُ من الورق،
...وغرقَ المدادُ
...وتبعثرتِ الفكرةُ

وانزلق العقلُ في هاوية التفسير.

**غَرِقْتُ أَفكاره
في قعرِ بحرٍ
يمتدُّ حتى الجبال،
كأنَّ الطوفانَ الذي استدعاهُ
!... عادَ لِيبتلعه أولاً**

**ثم...
أغلقَ الكتابَ،
وأخفاهُ تحت الوسادة.
فمن ذا الذي يقرأُ
وصايا النرجسِ الغريق؟**

رصاصه واحدة
(نص شعري موسّع)

وجد نفسه جندياً
في حروبٍ
...لا يعرف حتى اسمها
كان يحملُ بندقيّةً
، لا تشبهُ صوته
ويرتدي خوذةً
من خوفٍ قديم.

رأى الضبعةَ
تبحثُ عن وجبةٍ

...لصغارٍ جائعين

ورأى الغربانَ

:تحرصُ الغنائمَ

، رؤوسًا

، وأشلَاءَ

.وجثًا بلا أسماء

، وقفَ أمام بحيرةِ الدماء

ينتشلُ طائرًا جريحًا

راهُ ذات ليلٍ

، في حلمٍ هشٍّ

...ثم التفتَ

فرأى قوافلَ العدوِّ

تتقدّمُ ببطءٍ

كأنَّها لا تخافُ شيئاً.

...أراد الفرارَ

، أن يُنقِذَ ما تبقى من حياته

، أو من صوته

...أو من إنسانيَّته

لكن،

برصاصةٍ واحدةٍ

– لا يدري من أطلقها –

...سقطَ

، وسقطت معه الغابة،

وسقطَ الفضاء.

البحر الأبيض المتوسط

كان البحرُ الأبيض المتوسطُ

يُسْرَحُ زَبَدَهُ بحريّةٍ تامّةٍ

!بلا ضوابط... ولا قيود

وسط شباك الصيادين

.المحمّلة بأسرار البحار

سيرينة البحر

العاشقة

...تُنشِدُ لحنها المعتاد

ونوارسُ الحُبِّ
تتجولُ بحرِيَّةٍ
على رَمَلِ الشاطئِ.

قُرْصُ الشمسِ
يوشكُ على المغيبِ،
في هذا اليومِ الحارِّ
...من شهرِ آبِ

29

أذن الغيابِ.

وكأن الزمنَ

يهمس في أذن الغياب،
يروى قصة وداع
لا تعرفها الأيام
ولا تبوح بها النجوم
المنطفئة على ضفاف الصمت.

والريح تنفخ في شراعي
بأشواقٍ تائهة
تسير بلا وجهة
بين أصداء الذكرى
وصدى خطوات الغائبين.

فيا ليلة الرحيل،
احتضني أحلامنا الضائعة

وامسحي عن جبين السماء
دموع الرحيل الأخيرة.

30_

. أعماق الظلام

وفي أعماق الظلام
تنمو أزهار الانتظار
تفتح بتلاتها للحزن
تستنشق عبير الغياب
وتحلم بلقاء بعيد
بين أطيف الذكريات

تتراقص الأشباح
على نغمات الريح الباردة،
تهمس بأسماء من رحلوا،
تركوا في القلب ندوبًا،
وأغاني لا تنتهي،
تعزفها أنين الوحدة.

يا ليل، خذني معك
في رحلة بلا عودة،
أرنا إلى أفق الغسق،
حيث تتلاقى الأرواح،
وتذوب في سرّ السكون.

نجوم الحكايات.

فوق جبين الليل البهيم
تسطع نجوم الحكايات
قصص من دموع وبسمات
حكته الريح للعابرين
ورسمت على وجوه الغياب
لوحات من الصمت والحنين.

وتمضي الساعات كأنها
أجنحة طائر مكسور
يحلم بالسماء الرحبة
لكن أرضه ثقيلة
تثقل خطواته

وتثني جناحه الحزين.

فيا ليل، احملني معك
على أجنحة الحلم المذبل،
أبعثر همسي بين النجمات
وأختبئ في حُسن السكون
عليّ أجد في العتمة جوابًا
لأسئلة الرحيل التي لا تنتهي.

32

دقيقةٌ واحدةٌ

في دقيقةٍ واحدةٍ،
تسقطُ مدنٌ عن خارطةِ الضوء،

تتهجّر شعوبٌ بأكملها،
تُبادُ عائلاتٌ،
وتُطفأ شموعُ البيوت.

في دقيقةٍ واحدة،
تفلسُ شركاتٌ،
وتنهارُ مؤسساتٌ كأنها لم تكن.
تسقطُ الأقنعةُ الثقيلة،
ويظهرُ الزيفُ عاريًا أمامَ المرايا.
تُزهقُ أرواحُ بريئة،
ويتعالى الصمتُ فوق الخراب.

!دقيقةٌ واحدة
الحدُّ بين الموتِ والحياة،

،بين ماضٍ لا يعود
،وحاضرٍ يتشظى
ومستقبلٍ يقفُ على حافةِ الاحتمال.

،دقيقةٌ واحدة
،تفصلُ الحربَ عن السلام
،والخرابَ عن الازدهار
،والفقرَ عن الغنى
،والهزيمةَ عن نبوءةِ الانتصار.

،دقيقةٌ واحدة
،على جبينِ الزمان
،تُغيّرُ ملامحَ الطرق
،ووجوهَ العابرين

وتقلبُ الموازينَ كما الريح.

...دقيقةٌ واحدة

كفيلةٌ بأن تُعيدَ كتابةَ كلِّ شيءٍ

33

أقنعة الكبرياء

...دقيقةٌ تكفي

لنُسِقِطَ مدينة

وتُغرقَ شعبًا بأكمله

في التيه والضياغ

دقيقةٌ

تبني جدارَ النار

بين الحبِّ والوداعِ.

تُبيدُ عائلةً،

تُفلسُ دولة،

تدفنُ أحلامَ البسطاءِ تحتَ الركامِ.

في لحظةٍ

تتساقطُ أقنعةُ الكبرياءِ،

وتنفضُ الوجوهُ التي

تتزيّنُ بالبهتانِ والوهمِ والكلامِ.

تُزهقُ الأرواحُ بلا سببٍ

ويصيرُ القلبُ... مجردَ رقمٍ

في دفترِ الموتى.

...دقيقةٌ واحدةٌ

ما بينَ موتٍ وولادةٍ
ما بينَ ماضٍ راحلٍ
وحاضرٍ
ينمو كجرحٍ في الإرادةِ
ما بينَ أملٍ وانكسارٍ
بينَ خرابٍ... وازدهارٍ
بينَ فقرٍ خانقٍ
وغنىٍ
كالحلمِ في معصمِ النازِ.

...دقيقةٌ
تنقشُ أسماءنا في ذاكرةِ النسيانِ
تُغيّرُ خارطةَ الأشياءِ
وتقلبُ موازينَ الزمانِ.

. نهايات البرد .

شمسٌ مريضة

...تسطعُ في الخارج

ضوءٌ شاحبٌ

. كأنه يترددُ في الظهور

، الضبعةُ تتسلَّلُ نحو السهل

تبحثُ عن طعامٍ

لأطفالٍ جائعين

. لا يعرفون طعمَ الفريسة

الجنادُ تتمايلُ
بفعلٍ ريحٍ خفيفةٍ،
كأنَّها ترقصُ
لأجلِ
أن تظلَّ حيَّةً.

مشهدٌ يلمعُ في المدى:
الطبيعةُ بكاملِ رموزِها،
كائناتها،
أطيافُها،
تتشابكُ كأنَّها لوحةٌ
رُسمت في غفلةٍ حلم.

...صبيحةٌ ريعيةٌ دافئةٌ

لكنَّ الشمسَ
ما زالت مريضة.

35

الكهوف السحيقة

تلك الكهوفُ السحيقةُ

تبوحُ بثقلِ المجازِ

، وأنينِ المذابحِ

، لعصاباتٍ، وجماعاتٍ

وقُطَّاعِ طرقٍ

، عبروا ظلالَها يومًا

وسفحوا فوقَ تُرابِها الطاهرِ

دماءَ زكيَّةٍ

ما زالت محفورةً
في ذاكرةِ الصخورِ،
ووشوشةِ الأشجارِ،
...وأنينِ الهضابِ

36

الكهوف السحيقة (نص مُعدّ للتلحين)

تلك الكهوفُ السحيقةُ
تبوحُ بأنفاسِ مجزرةٍ
...وأنةٍ ليلٍ، وحرقةٍ صرخةٍ

مضت فوقَ دربِ المذابحِ
جماعاتُ موتٍ

وعصبةٌ خوفٍ،
وقُطَّاعُ درٍبٍ
!كأنَّ الظلامَ يُغني بهم

سفحوا على التُّربِ دمعًا
ودمًا طهورًا،
كأنَّ الملائكَ مرَّت هنا
...وبكتُ

بقيتُ الندوبُ على الحيطانُ
في صدرِ صخرةٍ،
في جفنِ شجرةٍ،
وفي صوتِ هضبةٍ
...تئنّ

!كأنَّ المكانَ يُصَلِّي

خاتمة: ومن بعدي الطوفان

**كل ما مضى، كتبته بمداد الذاكرة، لا
التبرير.**

**لم أبحث عن خلاصٍ شخصيٍّ، ولا عن
بطولة في زمنٍ معطوب.**

**سردتُ ما رأيت، وما أدمى القلب، وما
حرَّض الصمت على النحيب.**

**ربما كنتُ شاهداً أخرس في البدء،
لكنَّ الكلمات حين انفجرت**

...غمرتني كالسيل

:كأنها تقول

"اكتب... قبل أن تبتلعك العاصفة"

،وها أنا أضع القلم

.وقد نطقْتُ بما استطعت

،فإن جرف الطوفانُ ما تبقى

،فعلى الأقل

...كان هنا من أشار إليه

.ولو بصوتٍ مبلّلٍ بالخوف

ومن بعدي الطوفان؟

...فليكن

:لكن ليعلم الطوفان

أَنْ أَحَدًا، قَبْلَهُ، تَكَلَّمَ.

